# أ. دة. لاهاي عبد الحسين *: الوردي من منظور نقدي **

**تقديم**

وَصَفَ علي الوردي إبن خلدون الذي عُرِفَ بأنجازاته التاريخية في مجال النظرية والمنهج على أنّه 'بذرة' لم تجدْ الأرضية التي ترعاها بسبب التزامن غير المناسب لظهوره في الوقت الذي كانت الدولة العباسية تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي تقبل على الأنهيار التام عشية الغزو المغولي لدولة الخلافة الأسلامية[1]. ويصدق القول ذاته بشأن علي الوردي الذي شقّ طريقه الى قلوب وعقول العراقيين بمحض تميزه وتفرده وإنغماسه بالشأن العراقي. فقد وصفه زميله ونظيره عالم الأنثروبولوجيا العراقي قيس النوري على إعتبار أنّه من أعظم المروجين للفكر الأجتماعي الثقافي الموضوعي في المنطقة. ووصفه أستاذ التاريخ في جامعة بغداد مرتضى النقيب بأنّه 'عالِم العراق السوسيولوجي'[2]. من جانبٍ آخر يُلاحظ أنّ أعماله والهدف الذي لا بدّ أنّه سعى اليه لتأسيس مدرسة في علم الأجتماع العراقي لتطوير المعرفة الأنسانية العلمية وتوسيعها لم يحظ بما يستحق من الأهتمام أكاديمياً وثقافياً وفكرياً وسياسياً فكان أنْ بقيت أفكار الوردي ومفهوماته عالقةً في القلوب والعقول وأخذت كتبه ومؤلفاته مكانها في خزانات المكتبات العامة والخاصة على السواء ورفوفها العالية، ترنو كما يعبر النقيب 'الى منْ يفلح من المفكرين في ملئ الفراغ الذي تركه هذا العقل العراقي المبدع'[3]. ولعل أحد أهم أهداف الدراسة الحالية هو الدعوة الجادة والمنظمة لتأسيس مدرسة سوسيولوجية تستلهم فكر وإنجازات علي الوردي في مجال علم الأجتماع العراقي من خلال التعريف بمنهجيته وآراءه ومفهوماته وإسهاماته في فروع علم الأجتماع المتعددة.

[1] الوردي، علي، منطق إبن خلدون، (القاهرة: الجامعة العربية، ص 240، 1962)
[2] Al- Naqib, Murtadha, The Structurebof Iraqi Society after 2003 in view of Ali Alwardi's Socio-historical Works (Unpublished Paper), College of Arts, U. of Baghdad, 2013
[3] Ibid, p 14, 2013

## أولاً: علي الوردي وعلم الأجتماع

حصل الوردي على شهادة دكتوراه في مجال علم الأجتماع من جامعة تكساس، أوستن الأمريكية عنْ أطروحته للدكتوراه الموسومة، 'تحليل سوسيولوجي لنظرية إبن خلدون: دراسة في علم إجتماع المعرفة'[4]. وكان الوردي درس الأقتصاد في الجامعة الأمريكية في بيروت وحصل على شهادة بكالوريوس فيه. ومنذ البدايات أظهر الوردي ولعاً بدراسة المجتمع العراقي الذي قال فيه:'بدأت بدراسة المجتمع العراقي منذ أكثر من عشرين عاماً. وإزدادت هذه الدراسة تركيزاً منذ عام 1950، وهو العام الذي عينت فيه مدرساً لعلم الأجتماع في كلية الآداب والعلوم ببغداد'[5]. وبحسب ما ذكره د. قحطان سليمان الناصري، أحد طلبة الوردي المبكرين، عُرف الوردي بتدريس مادتين رئيسيتين هما 'علم إجتماع المعرفة' و'مجتمع عراقي'. ويلاحظ الناصري أنّ مادة 'علم إجتماع المعرفة' كانت تستقطب جمهوراً واسعاً من الطلبة ممن يأتون لحضورها من مختلف الكليات والأختصاصات العلمية[6]. لقد خاض الوردي من خلال كتاباته في مختلف ميادين علم الأجتماع وعبر عن رأيه بوضوح في مختلف القضايا فكان أنْ أسس بحق لعلم إجتماع عراقي لم يكن ليطمح من خلاله الى أكثر من تقديم الحقيقة العلمية المجردة وخدمة ميدانها للنهوض بالمجتمع العراقي الذي وصف ميله بدراسته بأنّه 'المجتمع الذي أولعت في دراسته وتعقبه'[7].

على صعيدٍ آخر، شبّه الوردي إبن خلدون بـ'هيغل' العرب بحكم منهجيته القائمة على الديالكتيك المسؤول بنظره عن التطورات الدورية على صعيد الحياة الأجتماعية السياسية[8]. ولنا أنْ نقول هنا أنّ الوردي نفسه لم يختلف عمن سبقوه من المفكرين والمبدعين. فقد كان الوردي 'بارسونز' العراق بسعة أفكاره وشموليتها والأهتمام الذي حظيت به. وكان 'دوركهايم' العراق بحكم صرامته

[4] Wardi, Ali Husayn, A Sociological Analysis of Ibn Khaldun's Theory: A Study in the Sociology of Knowledge, (Unpublished Dissertation), University of Texas, Austin, June 1950

[5] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء نظريات علم الأجتماع الحديث، (بغداد: مطبعة العاني، ص 4، 1965)

[6] د. قحطان سليمان الناصري (مقابلة شخصية)، 12 كانون ثاني 2014

[7] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص 354، 1965

[8] الوردي، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة: بحث في غوامض العبقرية والتفوق والنجاح وما يسمى بالحظ عند العامة، وأثر الحوافز اللاشعورية فيها ... في ضوء أحدث النظريات العلمية (بغداد: بلا مطبعة، ص 102، 1952)

المنهجية وتعريفه للظاهرة الأجتماعية وإهتمامه بها وبطرق قياسها. وكان 'ماكس فيبر' العراق من خلال رؤيته لمنهجية العلوم الأجتماعية وإهتمامه بالمعنى والفهم ودور الفاعل الأنساني ومن ثم تأكيده على الأهتمام بما يناسب البيئة الأجتماعية والثقافية العراقية.

**ثانياً: علي الوردي 'بارسونز' العراق**

عُرِفَ عالم الأجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (1900– 1977)[9]، بأعتباره عالِم الأجتماع الأمريكي الأول والأكثر مدعاة للجدل خاصة وأنّه كان الأكثر غزارة في النشر والتأليف. بالتأكيد، لم يأت هذا من صدفة أو فراغ. فقد غمر بارسونز المجلات العلمية المهنية المعروفة في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم ببحوثه وآراءه العلمية. وتنافست دور النشر والتأليف على إستقبال أعماله كما في 'النسق الأجتماعي'[10]، 'نظريات المجتمع'[11]، و'نظرية الفعل والحالة الأنسانية'[12]. وبرزت صياغات بارسونز المفاهيمية لتغزو المسامع والأذهان كما في 'التنشئة الأجتماعية'، 'حدود النسق'، 'النسق الأجتماعي'، 'المتطلبات الوظيفية'، 'التوازن'، 'التغير المؤسسي'، 'متغيرات النمط'، وغيرها الكثير[13]. ولعل الشاهد على صلة هذه المفاهيم والصياغات بصانعها أنّها إلتصقت به حتى صار كافياً مجرد التفوه بأحد هذه المفهومات ليعرف على الفور صانعها ومبتكرها، 'تالكوت بارسونز'. آخذين بالأعتبار التباين في مستوى التنمية الأجتماعية والثقافية بين المجتمعين الأمريكي والعراقي فأنّ من غير البعيد أنْ يُحسَبَ للوردي ما حُسِبَ لبارسونز. فالوردي 'بارسونز' العراق من حيث القدرة الفذة على تقديم المفاهيم وصنعها ونحتها وتطويرها. لقد عاد علي الوردي الى العراق بعد عام 1950 ولمّا يكن علم الأجتماع

[9] Coser, Masters of Sociological Thought, (Second Edition) (New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., p. 488, 1977)
[10] Parsons, Talcott, Social Systems and the Evolution of Action Theory (New York: The Free Press, 1977)
[11] Parsons, Talcott, Edward Shils, Kaspar D. Naegele and Jesse R. Pitts (eds.), Theories of Society: Foundations of Modern Sociological Theory (New York: The Free Press, One - Volume Edition 1965)
[12] Parsons, Talcott, Action Theory and the Human Condition (New York: The Free Press, 1978)
[13] زايتلن، إرفنج، النظرية المعاصرة في علم الأجتماع: دراسة نقدية (ترجمة د. محمود عودة ود. إبراهيم عثمان) (الكويت: ذات السلاسل، 1989)

معروفاً بعد. وكما فعل بارسونز الذي أسهم في تأسيس أول قسم لعلم الأجتماع برئاسة بيتريم سوروكن في جامعة هارفارد الأمريكية[14]، عين الوردي مدرساً في علم الأجتماع حين عودته وساهم فيما بعد بتأسيس أول قسم لعلم الأجتماع في العراق في كلية الآداب والعلوم آنذاك، جامعة بغداد عام 1953 بالتعاون مع عدد من زملائه وفي مقدمتهم عبد الجليل الطاهر وحاتم الكعبي وفيما بعد قيس النوري وشاكر مصطفى سليم ومتعب مناف السامرائي وآخرين. فكان أنْ صار هذا القسم بمثابة الأساس المادي الذي إحتضن أعمال الوردي وإنجازاته ومن تعاون معه وتلاه من الزملاء والأقران.

## 1. إنجازات الوردي على صعيد النظرية السوسيولوجية

لعل أولى المحاولات العلمية الثرة التي نجح الوردي فيها تقييمه لنظريات العقد الأجتماعي التي رأى أنّها يمكن أنْ تلائم المجتمعات الأوربية الغربية والأمريكية أكثر من المجتمعات العربية الشرقية في الماضي والحاضر. وبنى بذلك على نظرية إبن خلدون في السياسة والتي رأى أنّها تقوم على فكرة القوة والصراع المحسوم من جانب القوي لتكون الدولة بالمحصلة نظاماً يحكم بمنطق التغالب والأستغلال وليس بطريقة الأتفاق بين الحاكم والمحكوم لتفويض القوة وقبول سيادة القانون لتحقيق النظام والأستقرار الأجتماعي. وإستشهد الوردي بنظريات التحول من مرحلة الصيد والرعي الى المرحلة الزراعية لجومبلتز وأوبنهايمر حيث تأتي الدولة وتتشكل من خلال عملية الصراع والغلبة وليس التنازل وشروط بتحقيق العدالة الأجتماعية نتيجة توفر الفائض في الأنتاج الذي يؤسس للمنافسة ومنطق الغلبة[15].

وضع الوردي عددا من الأعمال المهمة التي توجها بما أسماه 'كتاب العمر'، الموسوم، 'لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث'[16] الذي يركز بحسب تعبيره على الدلالات الأجتماعية والفكرية لما حفل به تاريخ العراق. يقع الكتاب في ستة مجلدات رئيسية خصص كل مجلدٍ منها

[14] Coser, Masters of Sociological Thought, p. 488, 1977
[15] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 246 – 248، 1962
[16] الوردي، علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، (بغداد: مطبعة الأرشاد، ص 7، 1969)

لجانب من تاريخ العراق الحديث حتى بلغ المجلد الخامس بقسميه الأول والثاني الذي خصصه لدراسة 'ثورة العشرين'، فكان ما وضعه في هذا المجال من أدق وأفضل ما كتب على الأطلاق بالمقارنة مع ما كتبه عدد من الكتّاب ممن أشار اليهم الوردي كعينة لمن يكتب برؤية منحازة ونمطية لا تُعمِل الفكر النقدي والتحليلي فيما جرى حقاً كما هو الحال في رضا الشبيبي وعبد الرزاق الحسني وكاظم المظفر وعبد الشهيد الياسري[17].

ركز الوردي على فكرة 'الطبيعة البشرية' التي شاع إستخدامها منذ قدمها عدد من رواد المدرسة الأمريكية لعلم الأجتماع من أمثال جارلس هورتون كولي وجورج هربرت ميد مطلع القرن الماضي[18]. وكما فعل أولئك الرواد فقد أنصب إهتمام الوردي على سوسيولوجية الفكرة ومدى تأثرها بالظروف الأجتماعية المحيطة فضلاً عن تمييزها عن الطبيعة المادية أو الفردية السيكولوجية المحض.

تكلم الوردي عن النزاعات الطائفية والقبلية في التاريخ الحديث للمجتمع العراقي على إعتبار أنّها من الظواهر الأجتماعية والسياسية المتكررة والتي ينبغي أنْ ينظر اليها بحذر بسبب حساسية وتحيز الأطراف ذات الصلة. فقد تميز تاريخ العراق الحديث بنظر الوردي بحدّة النزاع الطائفي بين السنّة والشيعة على مستوى الأحياء السكنية لأسباب خارجية في الغالب. غالباً ما كان للصراع بين إيران والدولة العثمانية تداعيات مباشرة على الوضع الأجتماعي الداخلي في العراق وبخاصة في ظلّ هيمنة المدّ البدوي الذي لعب دور الحاضنة لهذا الشكل من أشكال الصراع[19]. وفي الأجابة عن السؤال لماذا إستمر المدّ البدوي في التعاظم في العراق يقول الوردي إنّ العثمانيين لم يهتموا بتنمية البلاد والمساعدة على الأستقرار بقدر ما أهتموا بتحصيل الضرائب وجباية الأموال وإتباع سياسة 'فرّق تسد' للسيطرة على العشائر ومنع تحولها الى قوة موحدة

[17] الوردي، علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، حول ثورة العشرين، ج5، القسم الأول، (بغداد: مطبعة المعارف، ص 7، 1977)

[18] Abraham, J. H., The Origins and Growth of Sociology (New York: Penguin Books, pp. 356 & 369, 1973 & 1977)

[19] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 1، ص 7 – 14، 1969

ومؤثرة[20]. إستخدم الأنكليز على الضدّ من ذلك سياسة 'توحيد العشائر'، بهدف جمعها في تكتلات أو إتحادات لغرض السيطرة عليها. فكان أنْ أتفقوا مع بعض الأشخاص ومكنوهم بالمال والسلاح من الأستحواذ على أراضي واسعة تضم عدداً من العشائر الأصغر ليضموها اليهم بصيغة إئتلافات وإتحادات عشائرية كما في تجمع عشائر المنتفك، الخزاعل، آلبو شبل، آل فتلة وبني لام، الخ.،[21]. أثبتت هذه السياسة فائدتها للأنكليز التي مكنتهم من السيطرة على مناطق واسعة لم يكن بمقدورهم ضمها من قبل إلا أنّها ألبّتْ الكثيرين ممن سخطوا على الأشخاص المعينين من قبل الأنكليز فضلاً عن السخط على الأنكليز أنفسهم بسبب أنّهم لم يحترموا 'قواعد المشيخة' التي تحصرها في الأشخاص الأكبر سناً ولا تنتقل بالضرورة الى الأخوة والأبناء. وحسبما يرى الوردي، فقد أتضحت هذه الأخطاء بالنسبة للأنكليز عشية إنطلاق ثورة العشرين التي وصفت من قبل بعض الكتّاب الأنكليز أنفسهم على أنّها كانت ثورة ضدّ الشيوخ الذين نُصِبوا في المشيخات أكثر منها ثورة ضد الأنكليز أنفسهم[22].

## 2. مفهوماته

قدم علي الوردي عدداً من المفهومات المميزة لعل من أكثرها شهرة ما دأب هو نفسه على الأشارة اليه كما في 'صراع البداوة والحضارة'، 'التناشز الأجتماعي'، و'إزدواج الشخصية' مما إستفاض عليها في كتابه الموسوم، 'دراسة في طبيعة المجتمع العراقي'[23]. رغم أنّ الوردي أعاد التأكيد على أهمية هذه المفهومات التي أطلق عليها تسمية 'فرضيات'، في مسعى منه للتشجيع على ما يبدو لأخضاعها للتحليل والتحقق العلمي، إلا أنّه لم يكتف بذلك. فقد إمتلأت أعماله بمفهومات أخرى لا تقل أهمية عن المفهومات المشار اليها وفي مقدمتها مفهوم 'القوقعة'[24]، والتي عرفها في سياق 'أنْ يعيش الأنسان داخل محيط محصن من الأعتقادات الذاتية. فكل طائفة تعتقد أنّ

[20] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج5، القسم الأول، ص 23، 1977؛ منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 258، 1962
[21] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 5، القسم الأول، ص 239، 1977
[22] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 5، القسم الأول، ص 25، 1977
[23] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، 1965
[24] الوردي، لمحات إجتماعية في تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 1، ص 8، 1969

ثقافتها هي الأفضل إلا أنّها بالحقيقة لا تختلف إلا بالدرجة. أما من حيث النوع فالجميع فيه سواء. تصل 'القوقعة البشرية' بنظر الوردي الى أوج قوتها خلال سنوات الطفولة المبكرة إذْ ينظر الطفل الى الأشياء من منظار العواطف والأحساس باللذة والألم. و'القوقعة' الخاصة تمنع الأنسان من أنْ يرى كيف ينظر الآخرون اليه معتبراً نفسه مركز الكون. ويردف قائلاً قد تصنع 'القوقعة' على مستوى الفرد الغرور أو تؤدي الى المكائد والدناءات ولكنّها أيضاً قد تدفع الى العمل على سبيل تعزيز التصور عن الذات'[25]. عموماً، تعبر 'القوقعة' بنظر الوردي عن الأنطواء في بيئة مغلقة وغالباً ما تعكس نظرةً جزئية الى العالم[26]. يمكن تعقب مفهوم 'القوقعة' للوردي في الأدبيات الحديثة في علم الأجتماع فيما يصطلح عليه اليوم بـ'المركزية العرقية' 'Ethnocentrism'[27].

ويلاحظ الوردي أنّ المجتمع العراقي خرج من 'قوقعته' عندما هبت المظاهرات الشعبية الواسعة التي عمّت بغداد للمطالبة بالأستقلال عشية الأحتلال البريطاني بُعيْد عام 1917، ويعلق بالقول 'خرج الناس من 'قوقعتهم القديمة' ليطالبوا بالأستقلال والتحرر وتلبية الوعود[28]. إلا أنّ المجتمع العراقي، بنظر الوردي، لم يخرج من أسر 'القوقعة' كليةً. فكلما خرج من 'قوقعة' وقع في حبال 'قوقعةٍ' جديدة أخرى مما أدى الى تشكيل حلزون من 'القوقعات' الأمر الذي يفسر أسباب التخلف وكثرة الأزمات وتكرارها فيه[29].

ويقدم الوردي مفهوماً آخر لا يقل أهمية عن مفهوم 'القوقعة' وهو مفهوم 'الشفاعة' ليفسر من خلاله تمسك الشيعة بأداء الطقوس الحسينية وحرصهم على ممارستها بأنتظام، ليس على سبيل إتباع سيرة الصحابة وآل البيت كطريقة في الحياة، كما يوضح، وإنّما على سبيل الحصول على

[25] الوردي، علي، مهزلة العقل البشري (بغداد: بلا مطبعة، ص 98 – 107، 1956)
[26] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج1، ص 7 - 8، 1969
[27] Giddens, Anthony, Sociology (4th Edition) (London: Polity, w 254, 2001); Macionis, John J. and Ken Plummer, Sociology: A Global Introduction (Third Edition) (London: Pearson, p. 119, 2005); Spradley, James and David W. McCurdy (2008 Edition), Conformity and Conflict: Readings in Cultural Anthropology (Boston: Pearson, p. 5, 2008)
[28] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 6(بغداد: مطبعة المعارف، ص 314، 1976)
[29] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 1، ص 11، 1969

شفاعتهم لدى الله يوم القيامة. و'الشفاعة' بنظر الوردي ظاهرة حضرية تنتشر لدى السكان الحضر المقيمين في المدن أكثر مما تفعل في الريف. إذْ يشبّه الناس الله بالسلطان الجالس في عرش السماء وهم يريدون شفيعاً يشفع لهم أي يتوسط لهم عنده. ويلاحظ الوردي تأثير الشفاعة على حياة الناس فهناك من شفوا من أمراضهم حقاً أو سكنوا مطمأنين أو بلغوا مطالبهم الدنيوية كالنجاح والتوفيق وحتى الزواج. ويعزو الوردي ذلك الى فكرة 'الأيحاء النفسي'[30]. وهذا ما يسمى بالأدبيات العلمية الحديثة بـ 'التنبؤ الذاتي' (Self-Fulfilling Prophecy)[31]. و'الشفاعة' لدى علي الوردي ترتبط بـ 'الشفعاء'، وهي الظاهرة الأجتماعية التي يستدل عليها من خلال كثرة المراقد المقدسة التي يقصدها الناس ويتهدجون بها ويتوسلونها. وهنا يمكن تلمس النظرة السوسيولوجية للوردي في تفسير الدين. فهو يرى أنّ أصحاب المذهب لا يبالون بالسلوك الواقعي اليومي الذي يتصف به الأئمة الأطهار وإنّما يكتفون بأداء الطقوس كوسيلة تشبع حاجة نفسية تعكس تصورهم لفكرة الخالق الذي لا يختلف بنظرهم عن الخليفة أو السلطان من حيث أنّه يفعل ما يشاء ويستجيب لنداءات الأستغاثة، وأنّه يستغفر الذنوب في الحياة الدنيا إكراماً لشفاعة هؤلاء الأئمة ممن 'يحبهم الله حباً جماً ولا يرد لهم طلباً'[32].

ويقدم الوردي مفهوم 'التغالب' معتبراً إيّاه المحور الذي تقوم عليه الثقافة البدوية الضرورية لفهم طبيعة المجتمع العراقي. بنظره، يحتوي المفهوم على مركبات وكل مركب يحتوي على خصال متنوعة وهذه تأتي بثلاثة أشكال: 1. العصبية؛ 2. الغزو؛ 3. المروءة. وتظهر هذه على مستوى الفرد الذي يريد أنْ يغلب بقوة قبيلته أولاً، وبقوته الشخصية ثانياً (الغزو)، وبمروءته أي بتفضله على الغير ثالثاً. ويعبر الوردي عن ذلك بالقول إنّه – أي البدوي –، 'يود أنْ يكون ناهباً لا منهوباً، معتدياً لا معتدى عليه، معطياً لا قابضاً، مقصوداً لا قاصداً، طالباً لا مطلوباً، مغيثاً لا

[30] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص 104، 1965
[31] Macionis and Plummer, Sociology: A Global Introduction, p. 519, 2005
[32] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص16، 1965

مستغيثاً، مجيراً لا مستجيراً، قادراً لا مقدوراً عليه، حامياً لا محمياً، مسؤولاً لا سائلاً، مرجواً لا راجياً، مشكوراً لا شاكراً ...الخ.،'[33].

ويقدم الوردي مفهوم 'الوعي الجماعي' تمييزاً له عن مفهوم 'الوعي الطبقي'، من حيث أنّ الغني في المجتمع العراقي يغدق على الفقير ليس لأعتباراتٍ طبقية وإنّما لأعتبارات الأنتماء الى 'الجماعة'[34]. ويظهر موقفه من موضوعة 'التقسيم الطبقي' في تحليله للبنية الأجتماعية لثورة العشرين التي رأى أنّها لم تكن ثورة طبقية بالتأكيد بقدر ما كانت ثورة شعبية إشترك فيها الجميع من شيوخ ورؤساء عشائر الى فلاحين معدمين الى رجال مدن بكل فئاتهم الأجتماعية كبيرها وصغيرها[35]. فالطبقة الأجتماعية كما يستدل عليها من خلال تحليلات الوردي لم تكن قد ظهرت بعد في المجتمع العراقي.

وعرف الوردي 'الطائفية'، على أنّها نوع من الأنتماء القبلي الى مذهب أو شخص. ويستدرك في أنّ الشخص الطائفي لا يهتم بمضمون المذهب الذي تستند اليه الطائفة من مبادئ أخلاقية أو روحية وإنّما يهتم بكل ما يعزز الشعور بالتعصب للجماعة على أساس الولاء وبالمقابل إظهار العداء لغيرها. ويختتم الوردي في هذا المجال قائلاً: ينظر الفرد الطائفي 'الى طائفته كما ينظر البدوي الى قبيلته'[36]. ويحيل الوردي 'الطائفية' كمشكلة الى جذور الفقه الأسلامي الذي أعتبر المسلم أرفع درجةً من الذمي الأمر الذي ساهم بنظره بزرع مستويات متعددة من الأرجحية والمفاضلة للبعض على حساب البعض الآخر ضمن حدود الدين الواحد[37]. ويستفيض الوردي في هذا المجال ليوضح أنّ للطائفية سلاح هو 'السلاح الديني'، والذي دأب المسلمون على مدى التاريخ الأسلامي بأستخدامه لضرب الخصوم حيث يأخذ كل فريق من المسلمين من الشريعة الأدلة التي ينتفع بها في الحرب ضدّ الخصم ويتجاهل ما سواه. حصل ذلك في مرات عديدة لعل

[33] نفس المصدر، ص 42، 1965
[34] نفس المصدر، ص 30 – 31، 1965
[35] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 5 ، القسم الأول، ص 341 - 351، 1977
[36] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 2، (بغداد: مطبعة الأرشاد، ص 31، 1971)
[37] نفس المصدر، ص 41، 1971

منها ما حصل من مبارزة بالأحكام الشرعية بين علماء أسطنبول ممن كفروا بفتاوى محمد علي باشا وإبنه إبراهيم باشا فيما قام الأخير بتحريض علماء الأزهر للرد على علماء أسطنبول وهلم جرا.[38].

وهناك مفهوم 'الخطية' وهو مفهوم مهم يشير الى تساهل الحكام والولاة مع الموظفين المرتشين والمزورين مما كان بنظر الوردي 'ولا يزال شائع الأستعمال في العراق'[39]. وتنطوي فكرة 'الخطية' على الضغط الأجتماعي الذي يمارس للرأفة بحق المخالفين والمارقين مما يوفر غطاءاً لهم للتمويه على الأفعال التي تلحق ضرراً بالمجتمع. وقد ترتبط بظاهرة 'شخصنة' العلاقات الأجتماعية التي تجعل من الصعب تطبيق القانون وتفعيله كما يحدث في البلدان ذات المرجعيات القانونية الرسمية.

وهناك مفهوم 'الغنيمة' وهي إحدى القيم المشفوعة بالممارسة التي تتصف بها العشائر وتمارسها بلا خجل أو وجل. و'الغنيمة' تعني حب السلب والنهب من الأعداء والأصدقاء على حدٍ سواء. فهم ينهبون رجال الدين والسادة مع أنّهم يحترمونهم لأعتقادهم أنّ فريقاً آخر سينهبهم فلماذا لا يفعلون هم ذلك ويسبقون الطرف الأول المفترض. إنّهم يعتقدون بحسب تفسير الوردي أنّهم 'أولى' من غيرهم بذلك. لذلك، ما أنْ تتوفر الفرصة 'ليغنموا' من طرفٍ ما، فأنّهم لا يترددون في إقتناصها. وهناك نوع آخر من السلب والنهب يتمثل بالميل الى نهب الجنود والحرس وأمثالهم من العثمانيين. إلا أنّ لهذا النوع من النهب والسلب مبررات أخرى غالباً ما تقوم على دوافع الحقد والكراهية والأنتقام[40]. ويؤكد الوردي أنّ 'الغنيمة'، هي الدافع الذي يدفع ويشجع العشائر على الدخول في حربٍ ما أياً كانت تلك الحرب وليس الأيمان بقيم أو مثل من نوع معين كما يحدث في حالات الحروب. فالعشائر تؤجج بأسم الدين أو المذهب من قبل العثمانيين ضدّ الأنكليز على سبيل المثال، ولكنّها ما أنْ ترى ملامح الهزيمة حتى تتفرق وتتذرع بمختلف الأعذار. ولا

[38] نفس المصدر، ص 32-33، 1971
[39] نفس المصدر، ص 252، 1971
[40] الوردي، علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 4 (بغداد: مطبعة الشعب، ص 183-184، 1974)

يستبعد والحالة هذه أنْ تلتحق العشائر بالطرف الرابح الذي يؤمن قدْراً من الغنائم. إرتكب العثمانيون – كما فعل الأنكليز فيما بعد – بنظر الوردي خطأً جسيماً عندما أغفلوا فهم أهمية هذا الدافع لدى العشائر. فالعشائر تتحد بهدف الغنيمة وتتناحر للحصول على أكبر قدرٍ من الغنيمة. وعلى الربان أنْ يدرك أهمية ذلك وإلا فأنّها تتحول الى 'طبيعة غوغائية' يصعب الأعتماد أو السيطرة عليها. ويعود الوردي ليذكر بما حدث عبر التاريخ كما في الصراع الدموي بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقد حقق معاوية نصراً عسكرياً وسياسياً تاريخياً بدعم العشائر لأنّه سمح لهم بالحصول على الغنائم فيما إحتفظ علي بأخلاقيته ودينيته وزهده وتنسكه[41].

## 3. فروع علم الأجتماع

إهتم علي الوردي بمختلف فروع علم الأجتماع. فكان أنْ قدم ودرسّ أولاً 'علم إجتماع المعرفة' الذي مهد له في كتابه المعروف 'خوارق اللاشعور'، واصفاً إياه بكونه يضم تلخيصاً لأهم ما صدر من نظريات محدثة في هذا المجال[42]. الى جانب هذه المادة درسّ الوردي مادة 'مجتمع عراقي' على مستوى الدراسات الأولية وهي تدرس اليوم على مستوى الدراسات العليا.

إلا أنّ الأضواء لم تسلط على فرع مهم من فروع علم الأجتماع الذي كتب فيه الوردي كثيراً وهو 'علم الأجتماع السياسي'. وفيه ركز على العلاقة الشائكة تاريخياً وإجتماعياً بين 'الشعب والحكومة'. يربط الوردي في هذا المجال بين 'ضعف الحكومة' و'تعاظم المدّ البدوي'، مفترضاً أنّ الدولة الضعيفة بأمكاناتها الضبطية تسمح بتعاظم المدّ البدوي. كما يمكن للمدّ البدوي أنْ يكون عاملاً معيقاً لقوة الدولة. وكان هذا هو الوضع الذي ميز العراق في ظلّ الهيمنة العثمانية

[41] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 119، 1962
[42] نفس المصدر، ص 44- 45، 1962

منذ منتصف القرن السابع عشر مما أدى الى ظهور الأتحادات القبلية وبخاصة في الجنوب العراقي مثل تجمع عشائر المنتفك والخزاعل وبنو لام وزبيد وجشعم وما اليهم[43].

ويضع الفكرة بصيغة أخرى ليربط بين 'العصبية القبلية' و'تكوين الدولة'، مفترضاً أنّ هناك تناقضاً مضطرداً بين العصبية القبلية التي تمثل البداوة من جهة، وتكوين الدولة وقوة مؤسساتها التي تمثل الحضارة أو المدنيّة من جهة أخرى[44]. ويستشهد الوردي في هذا المجال بسياسات الوالي العثماني حسن باشا الذي حاول لجم العشائر لتقوية الدولة وذلك لطبيعتها الخلافية ونزعتها نحو التمرد والغزو كأسلوب حياة. ويرجح الوردي أنْ تعود بدايات الصراع بين 'الحكومة' و'الشعب' في العراق الى القرن التاسع عشر مما تزامن مع محاولة بعض الولاة العثمانيين لفرض هيبة الدولة على المجتمع وبخاصة العشائر، إلا أنّ ذلك لم يتم بطريقة محنكة ورافقه الكثير من القسوة والعنف وسفك الدماء الأمر الذي أدى الى خلق مشكلة لا يزال العراق يعاني منها حتى اللحظة وهي إنعدام الثقة بين الطرفين. حاول الوالي عمر باشا على سبيل المثال، فرض الخدمة الألزامية على أبناء العشائر في العراق عام 1858 إلا أنّ هذه السياسة قوبلت بغضب وسخط شعبي واسع تمثل في جانبٍ منه بأنْ ينبري بعض الشعراء الى مناشدة 'المهدي المنتظر'، للظهور لتخليصهم من المحنة التي وقعوا تحت وطأتها[45].

وفي هذا السياق أيضاً، تعرّف الوردي على نوعين رئيسيين من أنواع الزعامة وهما الزعامة الدينية التي تمثلت بالمعممين من رجال الدين وطلبة الحوزة في النجف والزعامة القبلية التي تمثلت برؤساء وشيوخ العشائر في منطقة الفرات الأوسط على وجه التعيين. ويعود الوردي بالتاريخ ليظهر أنّ الكوفة أيام الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب شهدت نوعان مماثلان من أنواع الزعامة هما الزعامة الدينية التي تطلب الأمام وتستلهم القيم والمثل الدينية التي يتطلع اليها والزعامة القبلية التي تريد رئيساً يقودها لتأمين الحصول على مزيدٍ من الغنائم[46]. وقد يحدث أنْ

[43] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج 1، مصدر سابق، ص 93-94، 1969
[44] نفس المصدر، ص 100، 1969
[45] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 2، ص 240 – 241، 1971
[46] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 4، ص 409 – 410، 1974

تتطابق مصالح ورؤى الزعامتان الدينية والقبلية كما حدث عندما شاع خبر وفاة معاوية بن أبي سفيان في الشام فكان أنْ أتفقتا على مطالبة الحسين بن علي في أنْ يكون إماماً ورئيساً في الوقت نفسه. ولكنْ ما أنْ حصل ما حصل حتى أنفك عقد الزعامة القبلية التواقة للغنائم عن الزعامة الدينية التي لا تعد بأكثر من الوفاء والتضحية والأيثار وتُرِك الحسين لقدره. وأستغلت الزعامة القبلية موت يزيد بن معاوية لتعود الى دق طبول الحرب طلباً في المغانم إنّما بأسم المطالبة بثأر الحسين، وهكذا دواليك[47].

ويعترض الوردي أشد الأعتراض على فكرة وصف العراقيين بالتطرف والعنف والميل الى الجدل وعدم التصالح موضحاً أنّه ما لم يصار الى معالجة طرفي المعادلة: المجتمع بكل ما ينطوي عليه تاريخه من القمع والتضييق والأضطهاد من جانب، والحكومة بكل ما يتخم تاريخها من تسلط وعجرفة وعدم ثقة فأنّه لا يتوقع تغيراً في الوضع. وكان الوردي يرد بذلك على بعض الكتّاب الأنكليز على وجه التعيين ممن وصفوا العراقيين بالميل العفوي للعنف والفوضى والتخريب عشية إنطلاق ثورة العشرين[48].

من جانب آخر يرى الوردي أنّ أحد الأسباب التي أدت الى التصادم مع الأنكليز إنّما تكمن في أنّهم عملوا على فرض القانون وطالبوا بأحترامه مما أدى الى نفرة العشائر وعدم إرتياحها. فقد إعتاد العثمانيون على ترك الأمور سائبة مما أعطى العشائر المجال لتتصرف على هواها وبحسب مصالحها حتى أستأنست بذلك وتكيفت معه كطراز حياة. وعليه لم يكن السبب الرئيس الذي أدى الى نفرة العشائر من الأنكليز والنزعة الى التمرد برأي الوردي ليعود الى التأجيج الآيديولوجي الديني ضدّ الأنكليز 'الكفار' فحسب، وإنّما لصرامتهم التنظيمية مما لم يكن مألوفاً بالنسبة للعشائر من قبل. حصل هذا على الرغم من نفرة العشائر من السلطات العثمانية الجائرة

[47] نفس المصدر، ص 412 – 413، 1974
[48] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 5، القسم الأول، ص 14 – 15، 1977

في حكمها ممن لم تكن تهتم بأكثر من جباية الضرائب والأستيلاء على المحاصيل الزراعية وكافة أنواع المؤونة من حيوانات وإبل لأطعام جيوشهم وسد حاجاتهم اليومية الماسة [49].

يلاحظ الوردي أنّه أستقر في أذهان العثمانيين أنّ العراقيين متمردون بطبيعتهم على السلطة وذلك بسبب النزعة العشائرية ذات الطبيعة الغوغائية وميلها الى التحرك حالما تلمح ضعفاً في الحكومة. وقد ورد في خطاب الأفتتاح للوالي مدحت باشا في بغداد عام 1869 إشارة ضمنية الى ما أسماه 'داء العراقيين' الكامن في قلة طاعتهم للسلطان مما أدى به الى نصحهم للأقتداء بالأمم الأخرى والتعود على الطاعة والنظام. ويعلق الوردي قائلاً: هذا قول طالما سمعناه يتردد على ألسنة الناس منذ صدر الأسلام'[50]. ويبدو لي أنّ لسان حاله يتساءل عمّا فعلته السلطات المتعاقبة على الحكم في العراق بشأن إصلاح ذات البين بين الحكومة والشعب وكسب ثقة مختلف الشرائح الأجتماعية فيه.

ويقترح مرتضى النقيب فرعاً آخر من فروع علم الأجتماع مما قدمه الوردي ولم يخلفه أحد فيه وهو 'التاريخ الأجتماعي' الأمر الذي يتبدى في كتابه الموسوم، 'لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث' بمجلداته الستة[51]. بالحقيقة عثرنا على أطروحة دكتوراه أجيزت من قبل قسم الأجتماع في جامعة بغداد عام 1999، جاءت بعنوان، 'سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر: دراسة تحليلية'[52]، لم تتعد كونها رسالة إطراء وتمجيد للعراق بلداً وشعباً ووطناً.

### ثالثاً: علي الوردي 'ماكس فيبر' العراق

عرف عالم الأجتماع الألماني ماكس فيبر بعدد من الأنجازات كان من أهمها كتابه الموسوم، 'منهجية العلوم الأجتماعية' وفيه تناول عدداً من القضايا الأشكالية في علم المناهج كالعقلانية

[49] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 4، ص 183، 1974
[50] نفس المصدر، ص 252 وص 95، 1974
[51] مصدر سابق، ص 12، 2013
[52] محمد صالح، ثناء، سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر: دراسة تحليلية، قسم الأجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، 1999 (نشرت فيما بعد بصيغة كتاب عام 2013 من قبل وزارة الثقافة العراقي كجزء من الأحتفال لمناسبة إفتتاح مهرجان بغداد عاصمة الثقافة العربية)

والسببية والقرائن والحياد العلمي والفهم الذاتي والنموذج المثالي وما اليها. ضمّ الكتاب المقالات الثلاثة الرئيسة التي كتبت للفترة من 1903 – 1917[53]. بالمقابل، لم يحظ الوردي بما حظي به فيبر من إهتمام. إذْ لم يقم أحد وبخاصة على الصعيد الأكاديمي بجمع أفكاره ومقالاته وآرائه وملاحظاته وردوده على الكثير من الأسئلة التي طرحت عليه وأجاب عنها مستفيضاً. لحسن الحظ أنّه هو نفسه ألفّ كتاباً أسماه 'منطق إبن خلدون'، قدم فيه لكل آرائه في هذا المجال [54]. وأعطى الوردي تعداداً لأهم مصادره العلمية وفي مقدمتها بحوث ودراسات المؤرخين العراقيين الى جانب ما وصفه برصانة ودقة رسائل الماجستير والدكتوراه المجازة من قبل قسم التاريخ في كلية الآداب، جامعة بغداد؛ الوثائق البريطانية الموجودة في دائرة الوثائق العامة في لندن؛ رسائل المس بيل التي قام بترجمتها جعفر الخياط؛ مذكرات الساسة العراقيين؛ الصحف اليومية القديمة وأحاديث المسنين ممن عاصروا فترات زمنية محددة[55].

تناول الوردي في 'منطق إبن خلدون' المناهج التقليدية والحديثة وناقشها عن كثب حتى وصل بالقارئ الى منهج العلم الحديث وهو المنهج الذي يقوم على النظر في القضية موضوع الأهتمام من أكثر من زاوية فضلاً عن طرحه التساؤلات المستمرة والمتتالية وعدم الأستسلام لمسلمات محددة مسبقاً غالباً ما تقود الى نتائج معروفة[56].

ويبدأ الوردي بأحد أهم مكونات العمل العلمي وهو الباحث الفرد ليقول لا تتوقعنّ قدراً عالياً من الأبداع من شخص ينظر الى الأمور بطمأنينة ودون أنْ تنتابه مسحة قلق أو حيرة فقط لأنّه ينظر الى الأمور من زاوية محددة واضحة له مسبقاً[57]. لا يتوانى الوردي في هذا المجال عن دعوة الباحث الى التأمل في الزوايا المتعددة للظاهرة أو المشكلة الأجتماعية المطلوب دراستها قبل الركون الى الفكرة التي يراد التحقق منها طلباً للوصول الى الحقيقة. ومع انّ الوردي لا

[53] Weber, Max, The Methodology of the Social Sciences (translated and edited by Edward A. Shils and Henry A. Finch (New York: The Free Press, 1949)
[54] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، 1962
[55] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 6، ص 4 – 6، 1976
[56] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، 1962
[57] نفس المصدر، ص 139، 1962

يتطرق الى مفهوم 'الفهم الذاتي' لفيبر على نحوٍ واضح ومحدد إلا أنّ قراءه يستطيعون أنْ يلمسوا إهتمامه العميق بهذا الجانب في كل أعماله. فهو يبحث عن المعنى الذي يضفيه الفاعل على تصرفاته تماماً كما فعل فيبر عندما دعا الى تقليل المفهومات الكونكريتية الضخمة كالدولة والأتحاد أو الرابطة والأقطاع لتكون على مستوى الفعل الأنساني 'المفهوم' للفرد من خلال تعقب سلوك الأفراد المشاركين فيه كما يذهب الى ذلك جيرث وملز[58]. من هنا نفهم إهتمام الوردي بمنهجية فيبر وإهتمامه بالجوانب التي تبث الحرارة فيما يكتب فضلاً عن تشديده على تقليب القضية أو الواقعة وتعقبها من أكثر من زاوية منبهاً في هذا المجال الى الفرق بين مهمة 'الباحث' و'الداعية'، مشبهاً الباحث بـ 'القاضي' والداعية بـ 'المحامي' من حيث أسلوبيهما لمعالجة القضية موضوع الأهتمام [59].

إستخدم الوردي مقاربة فيبرية في تحليله للعوامل التي أدت الى إشتعال ثورة العشرين ضدّ الأحتلال البريطاني عام 1917، تأخذ بالأعتبار تداخل ثلاثة عوامل وهي الأجتماعي (ممثلاً بدور المجتهدين من رجال الدين وشيوخ ورؤساء العشائر ووجهائها)؛ السياسي (ضباط خدموا في صفوف السلطة العثمانية)؛ الأقتصادي (حيث لعب التضخم المالي نتيجة الدخول في أقتصاد السوق دورا مهماً)[60]. كما أشار الوردي في أكثر من موضع الى دور 'الحظ' أو 'الصدفة' في صنع اللحظة الحاسمة مقترباً بذلك من مفهوم فيبر المعروف، 'فرص الحياة'[61].

### 1. علي الوردي والمنهج العلمي الحديث

لعل أكثر الأنتقادات التي توجه لعلي الوردي أنّه لم يكن مهتماً بالمنهج و'أنّ محاضراته لم تزد على أنْ تكون حكايات'. وهذا بنظري، من أكثر ما قيل تعبيراً عن التنكر والجحود بحق الوردي. فطلبته الأوائل وقراؤه ومستمعوه والمشاركون في محاضراته العامة يتذكرون شجاعته العلمية

[58] Gerth, H. H. and C. Wright Mills, From Max Weber: Essays in Sociology (Translated, Edited, and with an Introduction by H.H. Gerth and C. Wright Mills (New York: Oxford University Press, p. 55, 1946)
[59] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 4، ص 414 - 415، 1974
[60] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 5، القسم الأول، ص 344 - 349، 1977
[61] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 4، ص 257، 1974

الفائقة وهو يشرح لهم مثالب المنهج الآرسطي القديم الذي لا يساعد على التقدم في مجال المعرفة. كما يُلاحَظ على نحوٍ واضح أنّه لا يكاد يخلو كتاب من كتب الوردي إلا وتطرق فيه الى موضوعة المنهج وإشكالاته وجادل في قضاياه الأساسية منبهاً الى ضرورة الأعتماد على المنهج العلمي الحديث. بل إنّه أفرد أبواباً في هذا المجال كما جاء تحت عنوان، 'حول منهج الدراسة'، في نحو نهاية كتابه الموسوم 'دراسة في طبيعة المجتمع العراقي'[62]. كما توقف الوردي في أعمال أخرى ليكيل 'اللكمات' الى المنطق الآرسطي القديم ويدعو الى إعتماد المنهج العلمي الحديث الذي يقوم على الواقعية والموضوعية بعيداً عن الوعظ والأرشاد والنصح الفج المباشر. ويذكّر في هذا المجال بظواهر يخفق المنطق القديم بتناولها كما في 'الغوغاء'، 'التعصب'، و'الحذلقة'. ويضرب مثلاً في خطل المنطق القديم بتناول موضوعات حساسة تهز وعي القارئ وبخاصة وعي القارئ العراقي كوسيلة لدفعه / دفعها للتأمل والتفكر كما في موضوعة الماسونية[63] أو مقتل الحسين بن علي ومراقد ومقامات الأئمة الأطهار[64].

## 2. الوردي و'مقدمة' إبن خلدون

بالرغم من الأعجاب الذي يعبر عنه الوردي بإبن خلدون هذا الأعجاب الذي قاده الى تبني بعض أهم أفكاره وآراءه إلا أنّه لم يتوان في التعبير عن رأي موضوعي بشأن أبرز أعماله – 'المقدمة'. فمقدمة إبن خلدون لم تكن بنظر الوردي عملاً علمياً متكاملاً لا يرقى الشك اليه. بل إنّها تنطوي على الكثير من التهافت والفوضى في التبويب والتنسيق والتكرار الممل والمفارقات غير المستساغة مما يدل على أنّ إبن خلدون كتب المقدمة – بنظر الوردي – على عجالة ودون الكثير من التمحيص والتدقيق. ويتعرض الوردي لشخصية إبن خلدون ليميط اللثام عن حقيقة أنّ الكاتب المبدع الجيد ليس بالضرورة إنساناً مثالياً وقويم الخلق. لا يعبر الوردي عن اللوعة وهول المفاجأة التي تنتاب محبي إبن خلدون والمعجبين به مبيناً أنّ العقلية الجبارة التي أنتجت

[62] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص 371، 1965
[63] الوردي، علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من عام 1876 الى عام 1914، ج 3، (بغداد: مطبعة الشعب، ص 329 – 383، 1972)
[64] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 219 - 220، 1962

'المقدمة' لا يستبعد أنْ تكون على صعيد السلوك اليومي والحياتي مثقلة بالكثير مما هو غير لائق وربّما غير مناسب بمقاييس العامة ممن ينظرون بمثالية ويفترضون أنّ الكاتب الجيد إنسان جيد، لا محالة[65]. وبهذا يظهر الوردي كيف أنّ المنهج العلمي تمكن منه حتى النخاع بحيث صار يستخدمه للوصول الى الحقيقة المجردة وليس مجرد التحذلق بها.

**رابعاً: علي الوردي 'إيميل دوركهايم' العراق**

عُرف إيميل دوركهايم بكتابٍ مهم في مجال المنهج كان بعنوان، 'قواعد المنهج في علم الأجتماع'[66]. وكما حصل مع ماكس فيبر فقد كان ما جاء في الكتاب بالحقيقة جُمِعَ من قبل آخرين وضمّ عدداً من المقالات المهمة على صعيد رؤية دوركهايم للمنهج في علم الأجتماع إبتداءاً بتعريف الظاهرة الأجتماعية وبلورة قواعد دراستها وتعقبها، تقديم التصنيف الأجتماعي والتعرف على كيفية إظهار الدليل السوسيولوجي من خلال تطوير المؤشرات الميدانية القابلة للقياس وما الى ذلك. تضمن الكتاب كذلك رسائل وآراء كتبها دوركهايم وإجابات على ملاحظات نقدية وتعقيبات وغيرها مما لم ينشر من قبل. على سبيل المثال، عرّف إيميل دوركهايم الظاهرة الأجتماعية في أنّها 'واقعة إجتماعية' يمكن ملاحظتها بصورة خارجية وبواسطة طرق منهجية محددة على نحوٍ دقيق كما في المؤشرات الخاصة بالتشريعات أو الأحصاءات كونها مرجعيات مستقلة عن الأفراد. كذلك يفعل علي الوردي. فهو يرصد الظاهرة ويتعقبها ويستدل عليها قبل أنْ يبادر الى توصيفها ونعتها بالظاهرة معبراً عن الأهتمام بمفهومات منهجية كما في الموضوعية والواقعية التي يرى أنّها تنطوي على القدرة في النظر الى الموضوع محل الأهتمام من أكثر من زاوية بغية فهمه وتحسسه.

**1. الظواهر الأجتماعية التي تعرف عليها**

[65] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 142، 1962
[66] Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method (Edited with an Introduction by Steven Lukes and Translated by W. D. Halls (New York: The Free Press, 1982)

أظهر الوردي دوركهايميته من خلال التأكيد على 'مادية الظاهرة الأجتماعية' ليس بالمعنى الكونكريتي المادي الملموس والمحسوس وإنّما من خلال قدرتها في التأثير على وعي الجماعة. فالظاهرة الأجتماعية بحسب دوركهايم 'شئ' يمكن ملاحظته وتعقبه ودراسته وإنْ لم يكن بالضرورة الأمساك به ووزنه وتقييسه بل الأكتفاء بتقديره، في الأقل وفق معايير مقبولة. ويذكّر الوردي بأكتشافات القرن العشرين في هذا المجال على صعيد الموجات الكهرومغناطيسية التي تفسر بالدليل المادي فكرة توارد الخواطر والأحاسيس المشتركة بين أشخاص يرتبطون ببعضهم البعض بطريقةٍ ما[67]. لعل أهم الظواهر الأجتماعية التي تعرّف عليها الوردي ما أسماه 'تنامي الوعي السياسي' الوطني لدى العراقيين الذي ظهر الى العيان عشية الأحتلال البريطاني للعراق مطلع القرن الماضي والذي ظهر بديلاً عن الوعي الديني الذي كان سائداً في العراق. ويعيد الوردي هذه الظاهرة الى عام 1906 – 1923 حيث ظهرت الحركات السياسية الداعية الى التقيد بالدستور وعدم إطلاق يد السلطان حتى مجئ تنظيمات أخرى ساهمت بأذكاء المشاعر الوطنية والقومية في العراق. وبدأت من ثم مرحلة بناء المؤسسات كما في تشكيل المجلس التأسيسي وقانون الأنتخاب للنواب والتصديق على المعاهدة العراقية البريطانية. ويتنبأ الوردي ببزوغ فجر الديموقراطية بسبب سيادة 'النزعة الشعبية التي تسيطر على الأذهان'[68]. ساهمت كل هذه التطورات بنظر الوردي بتنامي الوعي السياسي الوطني لدى العراقيين مما يشكل ظاهرة إجتماعية غير مسبوقة سرعان ما أصبحت الحاضنة الأجتماعية للعديد من الأحزاب السياسية المتصارعة في الغالب على السلطة والمؤثرة في بنية المجتمع العراقي منذ ذلك التاريخ.

وتعرف الوردي على ظاهرة إجتماعية مهمة أخرى تمثلت بخروج المرأة الى المدارس ومختلف ميادين العمل في بغداد والمدن العراقية الأخرى. وكانت هذه الظاهرة بنظره جزءاً من ظاهرة

[67] الوردي، علي، الأحلام بين العلم والعقيدة: بحث في الأحلام من حيث تأثيرها في عقائد الناس وعاداتهم وما توصل اليه العلم الحديث في ذلك من نظريات (بغداد: مطبعة الرابطة، ص 165، 1959)
[68] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 252، 1962

إجتماعية أعم وأوسع وهي الظاهرة التي تأثر بمقتضاها العراق بما أسماه 'المدّ الحضاري الحديث'[69].

### 2. 'منطق إبن خلدون[70]'

يقع كتاب 'منطق إبن خلدون'، في قسمين رئيسيين إضافة الى الخاتمة. ويضم القسم الأول خمسة فصول تناول فيها خصائص المنطق القديم ومن ثم المنطق الآرسطي القديم في الأسلام، إبن خلدون والمنطق الآرسطي، إبن خلدون وقوانين الفكر وأخيراً إبن خلدون ومنطق الفقهاء. لا يدع الوردي في هذه الفصول حيزاً إلا وتناوله بالنقد والتحليل. فهو يناقش السببية ويبين محدوديتها وكذلك العقلانية ويقدم محاولات الغزالي وإبن تيمية لتجاوز المنطق الآرسطي القديم مما يؤهلهما بنظر الوردي ليكونا من بناة المنهج العلمي الحديث. ويخص الوردي إبن تيمية بالذكر من حيث أنّه شكك بمبدأ "الكليات العقلية العامة"، لأنّها بنظره ليست ضرورية ولا بديهية ... يختلف الناس في تقديرها'[71].

ويتناول ما أسماه بـ 'لغز الطفرة الخلدونية'، مبيناً أنّ إبن خلدون ثمرة تراكم علمي وليس بالضرورة تعبير عن عبقرية نشأت هكذا من تلقاء نفسها كما ذهب الى ذلك آرنولد توينبي[72]. بالحقيقة، لعب الوردي دوراً مهماً في تطويع أفكار إبن خلدون لدراسة المجتمع العربي المسلم الحديث الأمر الذي أطرى عليه الكثيرون ولولا ذلك لربما أكتفي بقراءة إبن خلدون على إعتبار منجزه جزء من تاريخ الفكر الأنساني. ويعطي الوردي سبعة عوامل مؤثرة في هذا المجال وهي: 1. طبيعته الشخصية حيث يتنازعه حب الجاه والمنصب والسلطة من جهة، وحب المعرفة والعلم من جهة أخرى؛ 2. خلفيته الأسرية المتطلعة للجاه والعلم والمكانة؛ 3. تأثره بالنزاع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ومحاولته إيجاد حل للأشكال القائم؛ 4. تأثره بمعلميه

[69] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص 279، 1965
[70] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، 1962
[71] نفس المصدر، ص 57، 1962
[72] Wardi, A Sociological Analysis of Ibn Khaldun's Theory: A Study in the Sociology of Knowledge, p. 6 (Unpublished Dissertation), Texas, 1950

وبخاصة عبد المهيمن إمام المحدثين والنحاة في المغرب ومحمد بن إبراهيم الآبلي شيخ العلوم العقلية كما وصفه إبن خلدون نفسه؛ 5. تصاعد نفوذ الأمويين في المغرب في مقابل النفوذ العلوي والفاطمي الذي أذكى الجدال في قضايا ساخنة تركت تأثيرها عليه؛ 6. غزو القبائل العربية من أمثال بني هلال وبني سليم لبلاد المغرب وما لذلك الغزو من تأثير على الناس؛ 7. إنتشار الطاعون الذي أثر على المناطق الحضرية بينما لم يصب المناطق البدوية بشئ مما عزز تصوره عن تصاعد تأثير البداوة مقابل الحضارة[73]. بالمقابل، وعلى سبيل التأمل فقد كان لعلي الوردي 'لغزه'، أيضاً. يبدو لي أنّه يمكن إيراد بعض العوامل التي أثرت فيه لعلّ من أولها طبيعته الشخصية التي تجمع بين المحبة الغامرة لعلم الأجتماع وموضوعه (المجتمع العراقي) الذي ذكر أكثر من مرة أنّه مولع في دراسته الى جانب الأرادة الصلبة القوية لتحقيق الهدف على صعيد السلوك الشخصي؛ 2. ظروف العيش في مدينة الكاظمية وهي المدينة التي تستقبل يومياً الآلاف المؤلفة من الزوار من شتى أنحاء العراق والبلدان المسلمة الأخرى لزيارة ضريح الأمام موسى الكاظم؛ 3. فرصة الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت التي كانت أشبه ما تكون بالدورة التأهيلية على نمط الحياة الحديثة قبل الذهاب للدراسة في جامعة تكساس الأمريكية. بقدر تعلق الأمر بتأهيله، كان الوردي على وجه العموم ثمرة زمان ومكان إرتقى الى مقاييسهما أكمل إرتقاء، إلا أنّ الملفت إنّ كتاباته وتحليلاته العميقة في بنية وثقافة المجتمع العراقي من أقصاه الى أقصاه عمّرت زمانياً فلم تذو بمرور الزمان حتى صارت اليوم خزيناً للتأمل والتفكر مما يفسر أسباب شعبيتها وإنتشارها وقبولها.

من جانبٍ آخر، في الوقت الذي تتسابق دور النشر لأعادة طبع أعمال الوردي حتى بدون تفويض رسمي قانوني من ورثته، طبع الوردي معظم أعماله على نفقته الخاصة ومن دخله الشهري المباشر. من جانبٍ آخر، بمثل ما كان إبن خلدون محباً للكتابة عاكفاً عليها، كذلك كان علي الوردي يسافر بعيداً عن بغداد كل صيف ليقضي وقته بالكتابة في القاهرة والأسكندرية وبيروت. ولكنّه يعبر عن العجب بقدرة إبن خلدون على إتمام كتابة 'المقدمة' بخمسة أشهر

[73] الوردي، منطق إبن خلدون، مصدر سابق، ص 115 – 135، 1962

ليقول مستدركاً: لا يدرك هذا – أي صعوبة التأليف – إلا لفيف يعانون تأليف الكتب ويعرفون مشقتها[74].

### 3. نزعته للأهتمام بـ'العامة'

إهتم الوردي بالعامة معبراً بذلك عن نزعةٍ أخلاقية تراها حاضرة في أعماله أولاً وآخراً. وهو بذلك يشبه دوركهايم بنزعته الأخلاقية التربوية. ويستشهد بقول الرسول محمد بن عبد الله بقوله 'اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً وأحشرني مع المساكين'. أو مقولة علي بن أبي طالب إذ ينصح أحد ولاته قائلاً: وإنّما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء: العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم وميلك معهم ... والسلام'[75]. بل يدعو الوردي على سبيل الأرتقاء بأستخدام منهج العلم الحديث الى الأخذ بيد العامة نحو الديموقراطية التي تتيح بنظره قدْراً من الحرية في إبداء الرأي والتعود على الأختلاف وتسمح بالتصويت دون أنْ تستأثر جماعة بأخرى[76]. أظهر الوردي كذلك 'نزعة تقدمية' في كل أعماله. فهو يشير على سبيل المثال الى ظهور ومقتل 'قرة العين' في أنّها سبقت زمانها بمائة عام على أقل تقدير. ويضيف أنّه لو قدر لها أنْ تعيش في عصرنا هذا، وفي مجتمع متقدم حضارياً لكان لها شأنٌ آخر، ولربّما كانت أعظم إمرأة في القرن العشرين'[77]. يذكر أنّ 'قرة العين' إمرأة ولدت في أقليم قزوين في إيران عام 1814 وعرفت بجمالها الأخاذ وذكائها المفرط وجرأتها حيث أسفرت عن وجهها. شغلت المجتمع العراقي بعد إنتقالها للعيش في مدينة كربلاء مع زوجها لمواصلة الدراسة الدينية. إعتنقت العقيدة الشيخية وسرعان ما أصبحت من دعاة العقيدة البابية التي نادت بتحديث الشريعة الأسلامية وحكم عليها بالموت نتيجة ذلك[78].

[74] نفس المصدر، ص 142، 1962
[75] الوردي، خوارق اللاشعور، مصدر سابق، ص ،281، 1952
[76] الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص 382، 1965
[77] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج2، ص 203، 1971
[78] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج2، ص 152 – 190، 1971

شارك الوردي الى جانب مشاركاته العامة كما في البرنامج التلفزيزني الناجح، 'أنت تسأل ونحن نناقش'، في دعم نشاطات فكرية تقدمية مميزة كما في توقيعه على مذكرة تطالب رئيس الوزراء العراقي آنذاك (فاضل الجمالي) بأعادة الأمتياز لمجلة 'الثقافة الجديدة' لمعاودة النشر والتي رفعت في 15 كانون ثاني، 1954. وجاء توقيعه الى جانب تواقيع نخبة ممتازة من المثقفين العراقيين المعروفين آنذاك من أمثال إبراهيم كبة، صفاء الحافظ، شاكر خصباك، عبد الوهاب البياتي، فيصل السامر، عبد الجليل الطاهر، عبد الفتاح إبراهيم، يوسف العاني وآخرين[79].

ولم يتوقف الوردي عند حد فقد كان مدافعاً دؤوباً عن المرأة وتحررها كما في قوله 'إنّ أضرار السفور أقل من أضرار الحجاب على أية حال'. ويعبر عن السخرية من أولئك الذين صنعوا السبب الذي أدى الى تخلف المرأة من خلال فرض القيود والتكبيلات لها ليصفوها بالناقصة عقلاً وديناً ويقول 'خلقوا السبب بالأمس (من خلال فرض الحجاب) ويريدون اليوم أنْ يتخذوا نتيجة هذا السبب حجة له'[80].

## خامساً: لمحة نقدية

تقوم أفكار الوردي بمفهوماته الرئيسة وبخاصة ما أسماه 'المدّ البدوي'، 'إزدواج الشخصية'، و'التناشز الأجتماعي' وما يتبعها من مفهومات كـ 'القوقعة'، 'الشفاعة'، 'الطائفية'، 'الخطية'، 'الغنيمة' على حزمة من القيم الأجتماعية المحددة والمؤثرة على السلوك الأجتماعي للأفراد. يلاحظ في هذا المجال أنْ تعرضتْ 'القيم الأجتماعية'، كمفهوم للكثير من النقد لصعوبة قياسها وتحديد تأثيرها. ولا يقلل هذا من أهمية المفهومات المبتكرة، إنّما يجدر البحث عن جوانب فيها تمكّن من قياسها بطريقة موضوعية كأنْ يؤخذ السلوك الواقعي للجماعات الضالعة بنظر الأعتبار ولا يكتفى بأستقراء آرائهم وتصوراتهم التي غالباً ما تكون بعيدة عن الواقع.

[79] المذكرة المرفوعة الى رئيس الوزراء فاضل الجمالي حول سحب إمتياز مجلة (الثقافة الجديدة)، ص 15-16، الثقافة الجديدة، العددان 361-362، 2013
[80] الوردي، علي، مهزلة العقل البشري، مصدر سابق، ص 44، 1956

يشبّه الوردي المجتمع بالفرد تماماً كما فعل الوظيفيون من قبل كقوله 'من الممكن تشبيه المجتمع في هذا الشأن بشخصية الأنسان البالغ'. أو 'أكاد أعتقد أنّ المجتمع لا يختلف عن الفرد في هذا، فكثيراً ما تخلق الأحداث الماضية في المجتمع عقدة كالعقدة النفسية حيث نرى الناس يندفعون ببعض العادات والأفكار الموروثة إندفاعاً لا شعورياً[81]. وهذه مسألة أُتفِقَ على عدم صحتها علمياً من حيث أنّ الأنسان لا يمثل ذلك النسق المعقد الذي يتكون من مؤسسات وشرائح وطبقات ومستويات متباينة تحكمها في الغالب مقاييس وأفكار وتوجهات مختلفة إختلافاً كلياً. صحيح إنّ الأنسان يتكون من منظومة من الأعضاء إلا أنّ هذه الأعضاء لا تتباين بالطريقة التي تتباين فيها التشكيلات المتنوعة للمجتمع ذي الطبيعة الثقافية والأخلاقية. كما أنّ الوظيفيين أنفسهم تطوروا عبر مراحل تجاوزت تشبيه المجتمع بالكائن العضوي وفتحت الأبواب أمام نظرة بنائية أكثر شمولية[82].

عموماً، يلاحظ أنّ هناك ما يسمى بـ 'التفسير الدائري' 'tautological reasoning'، في بعض من أعمال الوردي الأمر الذي يخفق في حسم العلاقة بين متغيرين بأتجاه يحدد الأحتمالات الممكنة لدراستهما علمياً كما في العلاقة بين 'الشعب' و'الحكومة' التي يرى الوردي أنّ كليهما سبباً ونتيجة للآخر. فهو يرى أنّ الحكومة غالباً ما تضعف أمام الشعب مما يؤدي الى مزيد من التمسك بالقيم البدوية، فيما يؤدي التمسك بالقيم البدوية الى مزيدٍ من الأضعاف للحكومة[83]. وهذه إشكالية علمية تجعل من الصعب تحديد الأتجاه الرئيسي الذي تنطلق منه المعادلة في محاولة لدراستها بدون إشكالات منهجية. من جانبٍ آخر، تجاوز الوردي بأنجازاته النظرية والفكرية ما يعاب فيه على النظرية الوظيفية من حيث عدم إهتمامها بالتاريخ، وظهور النزعة المحافظة وعدم الأهتمام بالتغير الأجتماعي[84]. فقد إهتم الوردي بالتاريخ بل وأشبعه نظراً وتأملاً ودراسةً من خلال إستخدام البيانات التاريخية للتحقق من صحة فرضياته الرئيسية الثلاث،

[81] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 1، ص 5، 1969
[82] Turner, Jonathan H., The Structure of Sociological Theory (Third Edition) (Homewood, Illinois: The Dorsey Press, pp. 102 – 114, 1982)
[83] الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج 4، ص 179، 1974
[84] Turner, The Structure of Sociological Theory, pp. 109 – 111, 1982

صراع الحضارة والبداوة؛ التناشز الأجتماعي وإزدواج الشخصية والذي ظهر في أحد أهم أعماله، 'لمحات إجتماعية في تاريخ العراق الحديث' بمجلداته الستة. ولم يكن الوردي محافظاً كما الوظيفيون بل كان تقدمياً بأمتياز فضلاً عن أنّه إهتم بالتغير الأجتماعي على وجه الخصوص من خلال فكرة التناشز الأجتماعي والتي رصد من خلالها أوجهاً متعددة للتناقض والتضاد على مستوى السلوك الفردي والجندر والمؤسسة.

يلاحظ أنّ الوردي كان بحدّ ذاته جزءاً من أدوات البحوث التي يقوم بها. فهو يستذكر بصورة شخصية حوادث ومناسبات ويسجل إنطباعات ويردد أنْ تناهى الى سمعه شئ أو عثر على مخطوطة أو تذاكر مع أحد ويذكره بالأسم وهكذا. ويقع هذا الأسلوب في صلب الطريقة الأنثروبولوجية في العمل العلمي التي تجد من الصعوبة بمكان الأنفصال عن موضوع البحث. فالباحث الأنثروبولوجي يرتبط بموضوع بحثه بحكم التمازج والأقتراب حدّ الأقتران بين الطرفين. كما كان لهذا الأسلوب الذي أتبعه الوردي أنْ ترك تأثيره على نتاجات وإسهامات علماء الأجتماع والأنثروبولوجيا الذين عاصروه أو جاءوا من بعده ممن تخرجوا أو عملوا في قسم علم الأجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد وهو القسم الأم في العراق. إذ غالباً ما تجد أنّه لا وجود لخطٍ فاصل بين علم الأجتماع وعلم الأنثروبولوجيا في كثير مما صدر بعده من أعمال نظرياً ومنهجياً الأمر الذي يشهد لعمق تأثيره الأكاديمي ويؤشر بالوقت نفسه لأشكالية علمية هامة.

يتساءل الباحثون المحدثون اليوم عن مدى واقعية تأثير المدّ البدوي في وقتٍ إنحسرت فيه البداوة أصلاً كطريقة للحياة في المجتمعات البشرية المعاصرة وبضمنها المجتمع العراقي. ويتطلب هذا إعادة النظر في مفهوم البداوة للوردي حيث صار أكثر الجماعات بداوة في عداد المتحضرين ممن يقودون حياة معاصرة إخترقتها وسائل الأتصال الحديثة كالهاتف النقال والأنترنيت والفضائيات بكل أنواعها وإمتداداتها ويقيمون في المدن العامرة ويسافرون الى أكثر البلدان حداثة وتقدماً ويستخدمون السيارات والطائرات الحديثة على نحوٍ مضطرد.

هناك من يرى أنّ الوردي كرر كثيراً من أفكاره وأمثلته. وهذا صحيح، إلا أنّ الصحيح أيضاً أنّ تكرار الوردي كان من خامةٍ مختلفة. فهو تكرار ممتع وغير رتيب لأنّه غالباً ما يتحف القارئ بجوانب غير مطروقة وأسلوب يصل الى ذهنه بمثل ما يصل الى قلبه ووجدانه.

تحول الوردي عبر مسيرة عمله العلمي المنتج الفعال على مدى أربعين عاماً (1950 – 1990) بحكم نزعته التقدمية من كونه 'بارسونزي' النظرة والتصور بنزعة شمولية واسعة الى 'ميرتوني'[85] المقاربة من خلال التأكيد على أهمية طرح التساؤلات المناسبة , وإشباع الموضوع بحثاً ودرساً وعدم الركون الى تسطيح الأشياء لمجرد الرغبة بالوصول الى خاتمة جذابة وافية كافية. فكان أنْ إمتلأت أعماله بالتساؤلات وأقتراحات البحث والدراسة والتشجيع على القيام بدراسات يمكن التحقق من صحة ما تقوم عليه من فرضيات من خلال الأعتماد على وسائل الدراسة الميدانية المباشرة.

إذا كان بيتر بلاو قد حاول ربط مستويات التحليل الواسعة على مستوى المجتمع والكتل الكبيرة فيه بمستوى التحليل الجزئي المحدود على مستوى العلاقات الشخصية البينية للأفراد فهذا ما فعله الوردي في العراق منذ البداية. إهتم الوردي بالمجتمع تاريخياً وسوسيولوجياً وأولى الشخصيات المؤثرة فيه ما تستحق من النظر والأنتباه.

لا يضع الوردي حداً فاصلاً بين السيكولوجي والسوسيولوجي. فهو وإنْ كان عالماً إجتماعياً بأمتياز إلا أنّه يعود بين فترةٍ وأخرى الى النفسي ليذكي أثر الدوافع والنزعات والميول والعواطف والأحاسيس على مستوى الفرد. وهو بهذا أقل ميلاً من دوركهايم في التشديد الصارم على دور العوامل البنيوية والمؤسساتية وأقرب الى التوجهات الأنثروبولوجية المعاصرة التي صارت تنظر

[85] نسبةً الى روبرت ميرتون، عالم الأجتماع الوظيفي المعروف بتقديمه نسخة مختلفة للنظرية الوظيفية التي قدمها أستاذه تالكوت بارسونز. أنظر Ritzer, George, Modern Sociological Theory (Seventh Edition) (New York: McGraw-Hill, pp. 114-122, 2008)

الى 'الثقافة' من زاوية المدركات حيث تؤخذ الرموز والمعاني بالأهتمام على الضدّ من التعريف الجامع الشامل القديم لتايلور للثقافة[86].

**خاتمة**

حظي الوردي بالمحبة والأحترام والشهرة بمثل ما حظي بالترقب والملاحظة والأرتياب. كان الشطر الأول من حصة عموم القراء والطلبة والمهتمين والمثقفين داخل العراق وخارجه، إلا أنّ الشطر الثاني كان من شغل الحكومة وأجهزتها القمعية. والظاهر أنّ الحكومة لم تقرأ الوردي بدليل أنّها لو فعلت لتعلمت وأستفادت من العبر والحكم التي كان يسوقها في معرض تحليلاته وآرائه العلمية في مختلف المجالات. كتب الوردي عن كثير من الظواهر والحالات وحللها بطريقة العالمِ المتضلع إنّما المتواضع أيضاً الذي يقدم الفكرة بتفاصيلها المهمة الى القارئ على طبق من ذهب. فهو لم يترك شاردة أو واردة إلا وأتى بها لتكتمل الصورة, وبرغم صراحته ومباشرته وميله الى التعبير عن آرائه العلمية والأخلاقية كما في تناوله لشخصية الخليفة العباسي 'هارون الرشيد' التي وصفها بالأزدواج والأنشقاق على الضمير والظلم والتبذير وإمتهان الأنسان وبخاصة بالمقارنة مع شخصيات من وزن محمد بن عبد الله وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسين بن علي وعمر بن عبد العزيز[87] إلا أنّ البعض بقي متوجساً يحسب للوردي ألف حسابٍ وحساب. لقد كتب الوردي عن الشخصية الدكتاتورية والغوغاء والجهل والتعصب الطائفي والعشائري والأنغلاق البيئي والأجتماعي وحالات التقاتل شبه الدائمة في المجتمع العراقي إلا أنّه لم يخف محبته للعراق وإدراكه لأثر الظروف السياسية المعقدة التي طالما حفّت به وبخاصة على صعيد الحكومة وسياساتها الغاشمة في الغالب مما أطال في عمر ظاهرة إنعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم. مهما يكن من أمر، يبقى الوردي علماً معرفياً وعلمياً واسعاً وتبرز أعماله اليوم لتكوّن نواةً لمدرسة سوسيولوجية مميزة. في هذا المجال، ميز الوردي

[86] إيركسون، توماس هالاند وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، (ترجمة دة. لاهاي عبد الحسين) (بيروت: ضفاف، 2013 ، ص 152)
[87] الوردي، خوارق اللاشعور، ص 281، 1952

بين علم الأجتماع الحديث المعروف بأصوله الأوربية والأمريكية وما أسماه 'علم الأجتماع الخلدوني' تعبيراً عن الرغبة بدعم الجهود لتطوير مدرسة سوسيولوجية تهتم بمشكلات المجتمع العربي. وهذه دعوة لم يقصد الوردي فيها الأفتراق عن علم الأجتماع الحديث آيديولوجياً أو سياسياً وإنّما تعبير عن الرغبة في الأنطلاق من فرضيات ومفهومات أكثر قدرة على رصد وتخصيص مشكلات المجتمعات العربية. مع ذلك، يبقى التحدي الذي يتوجب على طلبة علم الأجتماع مواجهته ذلك الذي يرتبط بالعالم المعولم الذي يزداد إنفتاحاً وتفاعلاً على نحوٍ آخذ في التسارع، اليوم.

## المصادر

الوردي، علي، خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة: بحث في غوامض العبقرية والتفوق والنجاح وما يسمى بالحظ عند العامة، وأثر الحوافز اللاشعورية فيها ... في ضوء أحدث النظريات العلمية (مستنسخ) (بغداد: بلا مطبعة، 1952)

------- ، مهزلة العقل البشري (مستنسخ) (بغداد: بلا مطبعة، 1956)

------- ، أسطورة الأدب الرفيع (لندن: دار كوفان، بلا سنة)

------- ، الأحلام بين العلم والعقيدة: بحث في الأحلام من حيث تأثيرها في عقائد الناس وعاداتهم وما توصل اليه العلم الحديث في ذلك من نظريات (بغداد: مطبعة الرابطة، 1959)

------- ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الأجتماع الحديث (بغداد: مطبعة العاني، 1965)

------- ، منطق إبن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته (إيران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، 1380 هجرية)

------- ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، المجلد الأول (بغداد: مطبعة الأرشاد، 1969)

------- ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من سنة 1831 الى سنة 1872، المجلد الثاني (بغداد: مطبعة الأرشاد، 1971)

------- ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من عام 1876 الى عام 1914، المجلد الثالث (بغداد: مطبعة الشعب، 1972)

------- ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من عام 1914 الى عام 1918، المجلد الرابع (بغداد: مطبعة الشعب، 1974)

------- ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: حول ثورة العشرين، القسم الأول، المجلد الخامس (بغداد: مطبعة المعارف، 1977)

------ ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: من عام 1920 الى عام 1924، المجلد السادس (بغداد: مطبعة المعارف، 1976)

النقيب، مرتضى حسن، علي الوردي والتحديث في المجتمع العراقي، (دراسة غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2014

إيركسون، توماس هايلاند وفين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية (ترجمة دة. لاهاي عبد الحسين) (بيروت: ضفاف، 2013)

زايتلن، إرفنج، النظرية المعاصرة في علم الأجتماع (ترجمة د. محمود عودة ود. إبراهيم عثمان) (الكويت: ذات السلاسل، 1989)

محمد صالح، ثناء، سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر: دراسة تحليلية، قسم الأجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، 1999

الثقافة الجديدة، العدد 361 – 362، ص 15 – 16، تشرين ثاني 2013

Abraham J. H., The Origins of Growth of Sociology (England: Penguin Books, 1973)

Al- Naqib, Murtadha, The Structure of Iraqi Society after 2003 inview of Ali Alwardi's Socio-historical Works, (Unpublished Paper), College of Arts, U. of Baghdad, 2014

Coser, Lewis A., Masters of Sociological Thought (Second Edition) (New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1977)

Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method (Edited with an Introduction by Steven Lukes; Translated by W. D. Halls) (New York: The Free Press, 1982)

Gerth, H. H. and C. Wright Mills, From Max Weber: Essays in Sociology (Translated, Edited and with an Introduction by H. H. Gerth and C. Wright Mills) (New York: Oxford University Press, 1946)

Giddens, Anthony, Sociology (4th edition) (London: Polity, 2001)

Macionis, John J. and Ken Plummer, Sociology: A Global Introduction (Third Edition) (London: Pearson, 2005)

Spradley, James and David W. McCurdy, Conformity and Conflict: Readings in Cultural Anthropology (2008 Edition) (Boston: Pearson, 2008)

Parsons, Talcott, Social Systems and the Evolution of Action Theory (New York: The Free Press, 1977)

Parsons, Talcott, Edward Shils, Kaspar D. Naegele and Jesse R. Pitts (eds.), Theories of Society: Foundations of Modern Sociological Theory (New York: The Free Press, One – Volume Edition, 1965)

Parsons, Talcott, Action Theory and the Human Condition (New York: The Free Press, 1978)

Ritzer, George, Modern Sociological Theory (Seventh Edition) (New York: McGraw-Hill, pp. 114 – 122, 2008)

Wardi, Ali Husayn, A Sociological Analysis of Ibn Khaldun's Theory: A Study in the Sociology of Knowledge, (Unpublished Dissertation for the Degree of Doctor of Philosophy), University of Texas, Austin, 1950

Weber, Max, The Methodology of the Social Sciences (translated and edited by Edward A. Shils and Henry A. Finch with a Foreword by Edward A. Shils (New York: The Free Press, 1949)

(*) أستاذة علم الاجتماع في كلية الآداب، جامعة بغداد

(**) قدم البحث في الندوة الدولية التي عقدت في رحاب الجامعة الاميركية في بيروت للفترة من 25-26 شباط/فبراير2013 لمناسبة الذكرى المئوية الاولى لولادة الدكتور علي الوردي (1913-2013 ).ونشر في الكتاب الموسوم "علي الوردي – منظورات متنوعة" ونشر من قبل دار الرافدين، بيروت، الطبعة الاولى ، كانون الاول/ديسمبر 2015

http://www.daralrafidain.com/?book=%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%AF%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%AA%D9%86%D9%88%D8%B9%D8%A9